

تفسير ابن كثير

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

وقوله : (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) قال السدي : يقول : بل أنا خير من هذا الذي هو مهين . وهكذا قال بعض نحاة البصرة : إن " أم " هاهنا بمعنى " بل " . ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها : " أما أنا خير من هذا الذي هو مهين " . قال ابن جرير : ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا ، ولكنها خلاف قراءة الأمصار ، فإنهم قرءوا : (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) ؟ على الاستفهام . قلت : وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون - عليه اللعنة - أنه خير من موسى ، عليه السلام ، وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا ، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة . ويعني بقوله : (مهين) كما قال سفيان : حقير . وقال قتادة والسدي : يعني : ضعيفا . وقال ابن جرير : يعني : لا ملك له ولا سلطان ولا مال . (ولا يكاد يبين) يعني : لا يكاد يفصح عن كلامه ، فهو عبي حصر . قال السدي : (ولا يكاد يبين) أي : لا يكاد يفهم . وقال قتادة ، والسدي ، وابن جرير : يعني عبي اللسان . وقال سفيان : يعني في لسانه شيء من الجمرة

حين وضعها في فيه وهو صغير. وهذا الذي قاله فرعون - لعنه الله - كذب واختلاق ،
وإنما حمله على هذا الكفر والعناد ، وهو ينظر إلى موسى ، عليه السلام ، بعين كافرة
شقية ، وقد كان موسى ، عليه السلام ، من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار
ذوي [الأبصار و] الأبواب . وقوله : (مهين) كذب ، بل هو المهين الحقير خلقة
وخلقا ودينا . وموسى [عليه السلام] هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد . وقوله : (
ولا يكاد يبين) افتراء أيضا ، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة
تلك الجمرة ، فقد سأل الله ، عز وجل ، أن يحل عقدة من لسانه ؛ ليفقهوا قوله ، وقد
استجاب الله له في [ذلك في] قوله : (قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) [طه : 26] ،
وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته ، كما قاله الحسن البصري ، وإنما سأل زوال
ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام ، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها
ولا يذم عليها ، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا ، وإنما أراد الترويج على
رعيته ، فإنهم كانوا جهلة أغبياء ،